الحبيب

ليست بيروت هي المدينة الوحيدة التي لا نستطيع أن نضرب فيها موعدا · في باريس ايضا ، تأخر عز الدين قلق عن الموعد الاخير ، فلم يأت الى مطعم الخبز الطازج ، ولم يحدثنا عن علاقته الاليفة بالموت الذي يرافقه · القى تحية الصباح على شاب يشرب القهوة عند مدخل البناية ، فرد عليه بأحسن منها ·· وبقنبلة

وفي لندن أيضا ، تأخر سعيد حمامي ، فلم يف بوعده أن نذهب معا الى بحيرة شعراء انجلترا الرومانتيكيين ، أو الى طريق اكسفورد حيث توقف فجاة وتساءل عن بيروت التي تشبه غرفة على الطابق الاعلى من بركان ، تذكر شارع الكومودور المظلم الذي كانت تضيئه ، بين الفنية والأخرى ، قذائف الهاوتزر التي هدتنا الى الفندق ·

واضاف غسان كنفاني سببا آخر لذبذبة مواعيده ، فلم يأت الى الجريدة ، ولم يعتذر عن موعد الغداء ·

فلماذا نصدق علي حسن سلامة اذن ، ما دام هؤلاء الفتيان الفلسطينيون يكذبون على أصدقائهم جميعا ، في بيروت وخارجها ، ولا يأتون الى مواعيدهم !

انتهز أبو حسن فرصة وجودنا في دمشق ، وانفجر كوردة ضخمة في فردان ، قريبا من دم كمال وكمال وأبي يوسف الذين أعطوا أيضا مواعيد لا تتحقق ·

نعرف أبا حسن كما نعرف الكهرباء التي تسري بين العظم واللحم في تراجيديا فلسطينية ، ونعرف صموده الطويل في المبارزة المضنية مع موت يشتهيه ومع حياة يشتهيها · هذا السيف الذي صك من شهوة ودم لم يغمد لحظة واحدة في حياة يوقن أنها خاطفة ، كحياة الذين لا يمشون الا على حبال البرق · واذا كان قد استطاع أن يبتكر هدوء وسكينة للتعامل مع الأخرين ، فلأنه كان قد نجح في ترويض الهاجس الذي يحتله ·

لقد صاغ حياته كلها ، بنظامها وتفاصيلها ، وذوقها المنتقى ، وشهيتها المفتوحة على الربيع ، كما أملتها عليه لياقة الفرسان وشجاعتهم في نزولهم ، أو صعودهم ، الى الموت المختبيء وراء كل لحظة · كان عريسا جاهزا للزفاف الدموي الخاطف · وكان الفارس يعرف أنه الخاسر ، ولكنه كان يعرف أيضا ان معادل الربح في هذه المبارزة هو خسارة الحياة والتاريخ معا ، وسلالة تنحدر من ذهب ·

دائما كان يقول ·· سأموت غدا ، فماذا ستكتبون عني ؟ أنتم تكتبون ونحن لا